

قراءة أنثروبولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التنميط والانسلاخ

Traditional Arabic Anthropological Reading for aesthetics of the female Body between profiling jaws and alienation

دكتوراه علاوة عتبة 1 ، أ.د مولاي مراد الحاج 2

mhmourad@yahoo.fr

جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر)

aabla_05@yahoo.fr

جامعة وهران (2) محمد بن احمد (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 23-11-2022 تاريخ القبول: 10-09-2023 تاريخ النشر: 30-12-2024

ملخص:

الجسد/ الموضوع، موضوع للدراسات والدارسين على اختلاف اختصاصاتهم، أولوه أهمية كبيرة، وقدّموا تحليلات عميقة للعديد من القضايا المرتبطة به، وما الأنثروبولوجيا إلا أحد هذه المداخل البحثية التي اتخذت منه حقلا معرفيا لا ينفصل عن هذا المعطى المتمفصل من عدة ثنائيات (الجمال/القيبح) (الصحة/المرض) (المقدس/المندس) (التقليدي، المعاصر) (المشتهي، المهمش) والذي يقودنا الى تحديد هويته و مسائلة ثوابته الثقافية والاجتماعية التي غالبا ما تصنف ضمن دائرة الممنوع (الطابو)، وأبرز نموذج للمسائلة الاعتناء بالجسد وذلك ما تسعى له ورقنتا البحثية. الولوج الى قلب الحدث الانساني للفهم الاعمق له، وفك لغزه المحير بالبحث فيه، والنبش في المسكوت عنه. للتمييز بين الفطري والمكتسب، التقليدي والحديث، قراءة التأثير لهذا التداخل وتفحص تقلباته حين يصبح مصيدة بين فكي التنميط الاجتماعي والانسلاخ الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الجسد ؛ التنميط ؛ الانسلاخ ؛ الأنثروبولوجيا.

Abstract :

The body/subject is a topic for studies and scholars of all specializations have given it great importance and provided in-depth analyzes of many issues related to it. Anthropology is only one of these research approaches from which it has been taken as a field of knowledge that is inseparable from this given that is articulated from several binaries (beauty/ugliness). (health/disease) (the sacred/the profane) (the traditional, the contemporary) (the desired, the marginalized), Which leads us

to defining his identity and questioning his cultural and social constants, which are often classified within the circle of the forbidden (Taboo), and the most prominent model for accountability is caring for the body, and this is what our research paper seeks. Penetrating into the heart of the human event for a deeper understanding of it, and deciphering its baffling mystery by researching it, and unearthing what is unknown about it. To distinguish between innate and acquired, traditional and modern, reading the impact of this overlap and examining its fluctuations when it becomes a trap between the jaws of social stereotypes and cultural alienation.

Keywords: corps; profilage; Aliénation; anthropologie

المؤلف المرسل: علاوة عبلة ، الإيميل: aabla_05@yahoo.fr

1- مقدمة:

شغلت قضية الجسد الانساني وما يرتبط به من قضايا اهتمام العلماء والمفكرين والباحثين وحتى رجال الدين عبر التاريخ. فاذا كان الجسد الانساني لاقى هذا الاهتمام فان الجسد الانثوي قد حظي بالنصيب الأوفر، خاصة في ظل الانفتاح الحضاري والتقدم التكنولوجي وطغيان الحياة المادية التي افرزتها المدينة والحداثة. حيث زاد اهتمام الانثى بجسدها وأصبح من أولوياتها ، بل باتت الانثى مولعة بجسدها حد التقديس ضاربة بالعرف والعادات والتقاليد، منسلخة عن قيمه الاجتماعية وثوابته الدينية. همها الوحيد وجه مشرق وجسد جميل لأنثى فاتنة جذابة تذوب في قوالب الجمال وقوانينه، تقلد وتنافس ملكات الجمال والمذيعات والفنانات سعيا حثيثا لتتربع على عرش الجمال في عين المجتمع والرجل خاصة. هذا الموضوع (الجسد الانثوي) المعروض للبحث، انه وضعية خاصة في البحث الأنثروبولوجي. موطن لتقاطع النظريات والمقاربات، انه محط للحيطه واللبس مخترق للمعارف، متعود الحوار مع العدد من الحقول المعرفية (طب، فن، بيولوجيا رياضية، تاريخ، سيكولوجيا، سيسولوجيا أنثروبولوجيا... الخ) دون ان

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

يفقد خصوصيته. هذا الواقع المفهومي لا يزال في واجهة الاجتماعي والفردية، الرمزي والثقافي الديني والاجتماعي... يجعل الجسد سؤال للثقافة برمتها، هو التوتر الهوياتي للإنسان والمكان والزمن... محطة للعبور بامتياز، مادة لا تنضب للممارسات الاجتماعية وللمثالات والمتخيلات. (دفيد لوبروتون، 2014، ص8)

فاذا كانت تمثالات الجسد تتضاعف اليوم في عالمنا الحديث، وتتناسق في فهمه وتأويله فان السؤال الذي يطرح نفسه هو سؤال: جمالية الجسد بين التنميط والانسلاخ؟ لأن سؤال الجسد يبدو صعبا في ظل التغيرات السوسيو- ثقافية التي مست العالم والمجتمع الجزائري بالخصوص. حيث صعدت العولمة الى السطح وسحبت معها تسليعا هجينا للجسد الانثوي، هذه الاخيرة(العولة/الحداثة) سلبت العقول واستحوذت على الافكار والسلوكيات ، غزت الجسد الانثوي دون تمييز للعمر والانتماء غلفته بثوب الحداثة ونمطته على مقاسها وفقا لقوانينها الداخلية والخارجية . حيث لا يمثل عالم الموضة والألوان والزينة والأزياء والرياضة والحركات والإيماءات سوى ترجمة لهذه التحولات التي مست الجسد والهوية والانتماء الاجتماعي لأنثى المجتمع الجزائري. النقطة المهمة في الفهم العميق للعالم وفهم للأبنية وللأنساق الاجتماعية والثقافية. التي تحدد هويتها، مما يجعلنا نتساءل عن مكانة الجسد الانثوي بين فكي التنميط الاجتماعي والانسلاخ الثقافي بالإجابة على التساؤل التالي:

- هل زيادة اهتمام واعتناء الانثى بجسدها ناجم عن تنميط اجتماعي أو تمثل ثقافي - فردي وجماعي يعكس الانسلاخ عن القيم والمعايير التي افزتها الحداثة في ظل التغير السوسيو-ثقافي والتكنولوجي الذي يشهده المجتمع الجزائري والعالم ككل؟

من هنا تم تحديد مشكلة البحث في محاولة قراءة التغيرات التي أحدثتها الحداثة والتمدن بالجسد من خلال اليات العناية به وبجمالياته (لباس ، تجميل، رياضة...الخ) وما أحدثته من تغيرات في مفهوم الجمال والجسد الانثوي في عالم الانفتاح والعولمة والثقافة الاستهلاكية في مجتمع ذكوري منذ الازل. وما لعبته هذه الممارسات والآليات في تغير تمثالات المجتمع للجسد الانثوي. كأحد افرازات الحداثة التي انخرط فيها

قراءة انثروبولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التنميط والانسلاخ

المجتمع عامة والانثى بالأخص، فانسأقت لمختلف اشكالها من موضرة تخص الازياء وقصات الشعر وانواع مستحضرات التجميل والعناية بالبشرة ، الى انواع الحلي والاكسسوارات وصولا الى الحميات الغذائية وانواع الرياضات الترفيية وغيرها من مظاهر الحياة العصرية. لكن البادي للعيان والملاحظ هو انخراط الانثى في لعبة الجسد تستند على جمالها الخارجي وحرصها على الاعتناء بجسدها لبلوغ مقاييس الجمال التي فرضها منتجو ومسلعو الجسد، فاصبح حلم كل انثى ان تظهر بمظهر الحساء الفاتنة .

2. مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتنميط الجسد

1.2 التنميط الأسري للجسد الأنثوي:

جسد الانثى عنوان كينونتها ورأسمالها بهذا الوجود. وجماليات الجسد تعتبر من بين اولوياتها التي جبلت عليها، حيث تتعرض الفتاة (الانثى / المرأة) لعملية " ال تنميط " واكسابها الهوية التي يعرفها بها المجتمع كامرأة. فمنذ المراحل الأولى من حياتها تختار قوافل من الممارسات التي تعنى بالجسد اما للاعتناء به (نظافة، تجميل،...) او لتقييده (تصفاح، لباس، الفصل بين الجنسين...) حيث تتلقى البنت من الاهل القيم والتمثلات الاجتماعية لمفهوم الجسد، والذي يفرض من ثم عليهم نسقا من المواقف تستجيب لتنميط اجتماعي. وفي كل الاحوال هي ممارسات للحفاظ عليه كراس مال رمزي في هرم التراتبية الاسرية والمجتمعية ، بإخضاع هذا الاخير الى قوانين اللعبة الاجتماعية والامثال لسلطة الفاعلين الاجتماعيين(الام، الاب، الاخ،...) بغية التصدي لعوائق الانوثة وانزلاقات الجسد. فتولد منذ البداية معايير القولية والتنميط بداية من لحظة الميلاد بالتميز بين الجنسين(ذكر/ أنثى) وشكل ولون اللباس (أزرق/ وردي) (سروال- تنورة) ونوع اللعب وطريقة الحديث...الخ. فليس ثمة جسد انساني لم يتم تحديده بوصفه مؤنث او مذكر. الامر الذي سيكون له بكل وضوح عدة نتائج على صعيد الهوية والشخصية.

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

وعليه يتم اكساب الاطفال للصور النمطية والادوار الجندرية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تؤكد الثقافة السائدة وتنقلها من جيل الى جيل اخر، ويتم تعزيز هذه الصور النمطية والادوار الجندرية من خلال عملية الضبط الاجتماعي الذي بدوره يتحدد من خلال المعايير السائدة في الثقافة المحيطة بعملية التنشئة الاجتماعية. (محمد حوسو، 2009، ص118) فمن الجسد تنبثق وتتأثر العلامات والمعاني التي تؤسس للتواجد الفردي والجماعي. هذا الجسد محرك العلاقات بالعالم، بالمكان والزمان. حيث التواجد موكول ومتجلي من خلال ذلك الوجه البسيط والمعبّر عن الفاعل الانسان ومن خلاله ايضا يتحكم الانسان في جوهر حياته ويترجمها الآخرون بواسطة انظمة رمزية يقتسمها مع افراد مجموعته باعتباره فاعلا يعانق بدنيا محيطه المليء بالمعاني والرموز والقيم (دفيد لوبروتون، 2014، ص16) هذه الكتابة الاجتماعية على هذا الجسد الانثوي مقبولة منذ لحظة استقباله في الاحتفاء به وصولا الى الزواج بكل ممارساته وطقوسه، وما يحاك حوله من امثال وما يردد من أغاني وعند انفصاله بالوفاة وما تحمله اللحظة من رموز وتنسجه من دلالات. انها الانثى المشوشة بالعرف المسيجة بالقوانين الخاضعة لعملية الجندرة والتنميط والقولية الجسدية والنفسية والذهنية من خلال اساليب التنشئة الاسرية التي تكسبها الهوية وهيئها للدور الاجتماعي المنوط بها والمعد لها اجتماعيا حسبما بينته الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار(لا تولد الواحدة امرأة، بل تصبح كذلك) (de Beauvoi,1973,p301)

تستمر القولية الاجتماعية برسم تقنيات التعامل مع الجسد الانثوي في فهمه وترويضه اقصاده تهميشه.... وبينما تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية للذات في مرحلة الطفولة فان

الانثى تدريجيا تكتسب هوية النوع ومع البلوغ تتعلم قوانين الجسد ووضع اشاراته (ذكر، انثى) للآخرين مستخدمة اللباس وتصفيف الشعر ومساحيق التجميل والعدسات اللاصقة وطلاء الاظافر والكعب العالي والالوان... الخ لتنظيم عالمها الاجتماعي. (اي.اس. وارتون، 2014، ص17) كل هذه الانماط يتلقاها الجسد بوعي وبلا وعي ويتفاعل معها على مدار حياته. ويتم تلقين الانثى ان جسدها رأسماها ورأسمال العائلة والجمتمع، بذلك تبدأ لعبة التصنيفات الجسدية لترسم حدوده وتفهم ممنوعاته ومحضوراته.

قراءة انثربولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التمييز والانسلاخ

يتم خلالها تقييد الانثى بمجموعة من الانماط والاتجاهات والمقاييس التي تحدد جمال الجسد الانثوي ومواصفات الانوثة في علاقتها بالحشمة والحياء الحلال والحرام، المسموح والمحظور، فتعي الانثى حدود الجسد واليات الحفاظ عليه وتهذيبه وترويضه وتحسينه ليدوب في قالب الاسرة والجماعة، وتتعلم أدب السلوك

وفق قيم المنظومة الاخلاقية المحاطة بترسانة من القوانين وجملة من المفاهيم بداية من الفصل بين الجنسين الى ارتداء الحجاب. وتعد الام الفاعل الاساسي والحرك الاولي لعملية التنشئة الاسرية، من خلال تلقين ابنتها كل ممارسات العناية الجسدية (نظافة، طهارة، تجميل... الخ) والحفاظ على جسدها مراقبته، ترويضه وتصحيح انحرافاته واعادة صياغته في كل مرة (طفولة، مراهقة، رشد) وحسب كل موقف (فرح، حزن) حتى يدوب الجسد في نسيجه الاجتماعي والثقافي. فهي(الانثى) المطالبة بالحياء والعفاف والستر والحشمة، الحاملة للشرف وبذلك وجب الامتثال لمعايير الاسرة والمجتمع لحفظ الشرف والعفة التي تقي مكانتها ومكانة رجال الاسرة (الاب-الاخ- الزوج فيما بعد) حيث تتعلم لعبة التخفي وتجد فنون التستر منذ الطفولة وتتمرس على حصانة الجسد عن طريقة اللبس والمشى والاكل والكلام المستمدة من القيم والثقافة السائدة. وان اي خروج عن تلك المعايير الاسرية والمجتمعية يوسم/ يوشم (وصم) الانثى ويضعها في زاوية الاتهام والاقصاء. والعار ويلطخ شرفها وشرف رجالها، وتستسلم الانثى لذلك خضوعا مرسخا في اللاوعي. وتشكل التصورات حول مفهوم الجسد الانثوي من الصغر، وترسخ هذه التصورات في الادراك العقلي والحسي والاجتماعي حتى تتغلب في الاتجاهات والسلوك.

2.2 التمييز الاعلامي للجسد الانثوي:

الجسد المدونة الاولى التي تخط عليها علامات ورموز المجتمعات وتقرأ منها دلالاته وتفك رموزه وتوثق موابيقه المختلفة. فثمة حضور مكثف للجسد الانثوي في المادة الاعلامية بوصفه حاملا للقيم المجتمعية

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

والرموز الثقافية ، واداة لتشكيل الذات. حيث يعمل الاعلام بمختلف وسائطه على تنميط صورة واحدة لجمال الانثى ويعتبر الجسد مادته الاولى التي يتغذى منها من خلال ما ييئه من برامج وما يعرضه من منتجات. في ظل هذه التحولات يلعب الاعلام الدور البارز في رسم الصورة النمطية التي تقدم عن الجسد الانثوي والذي زادت انتشارا وتطورا وتأثيرا بفعل التطور الحاصل في الشبكة العنكبوتية التي غزت كل العالم واصبحت في متناول الجميع. حيث عملت على قولبة الافراد في قوالب محدد تعمل على تشكيل وادراك الانثى والمجتمع معا ، بالرغم من ان مفهوم الانثى في المجتمع الجزائري لا يزال مقرون بالعيب والعار ويتعامل معه على انه حرمة وطابو يستوجب ستره وتقويمه وحفظه . وامام هذا السيل العارم من المتناقضات التي افرزتها الحداثة تجد الانثى نفسها مجبرة على بحارة متغيرات العصر ومجارات تطوراتها والذوبان في قوالبه التي يسوق لها الاعلام .

لقد كرس الاعلام الصورة النمطية للمرأة من خلال ما يعرضه من برامج للعناية بالمظهر واليات الاعتناء بالجسد ناهيك عن المذيعات والفنانات اللواتي يظهرن بصور الفاتنات بلباسهن ومظهرهن المفرط في استخدام مساحيق التجميل وصبغات الشعر والعدسات اللاصقة وغيرها من اليات الاعتناء بالجسد ومظاهر الظهور الجذاب لجسد جميل، وتشكل منصات التواصل الاجتماعي ارقى اشكال التواصل المتاحة التي يوظف فيها الجسد الانثوي دون رقابة ولا ضبط ، دون قيود اجتماعية ولا سلطة ذكورية متحررا من كل قيمه وعقائده متماهيا مع كل معطيات التقنية التي تقوبله وفق قوانينها. يقدم الانثى في قوالب نمطية جاهزة لجسد جذاب مغري فكيف لا وهي تصنع فكرهن وتشكل اذواقهن وتتحكم في اتجاهاتهن . انها مدرسة اخرى اكثر حيوية لا تقفل ابوابها، ولا تغيب شمسها لما لها من دور بارز في اكساب الانثى مفهوم الجمال واليات العناية الجسدية (صوت، صورة، لون، حركة، ايجاءات...الخ) انها الاب الروحي لهن.

فالاعلام اليوم يمارس دور كبير في تشكيل وعي الانثى ومفاهيمها حول ذاتها وجسدها ، لأنه نظام فكر-ثقافي. بذلك اضحى الجسد المادة الاولى لكل ضهور اعلامي واجتماعي وثقافي وسياسي بل اضحى المشهد اليومي في كل الامكنة (الشارع والسوق الجامعة والعمل...الخ) فالصورة النمطية للإشهار سوقت

قراءة اثربولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التمييز والانسلاخ

للجسد الانثوي الجميل من خلال صور المذيعات التي تطل علينا من خلال شاشات التلفزيون وصحف المجالات وقنوات التواصل الاجتماعي تلك الانثى الجميلة الانيقة بمظهر جذاب وملابس انيقة وبشرة مشرقة بالوان ماكياج ساحرة وأنواع الحلي والإكسسوار وتسريحات الشعر المميزة ، بل ولم تستثني اللباس الشرعي (الحجاب) من خلال تنوع لفات الراس (خمار) التي تزيد من اظهار مفاتها وطول عنقها او اظهار خصلات من شعرها المصبوغ او اقراطها الطويلة فتظهر فيه الانثى جذابة طاغية في الاغراء والاثارة للمتلقي ، ضنا منها انها تحافظ على انتمائها الهوياتي الديني من خلال الابقاء على لفة الراس. وعليه فان ظهور الانثى في الاعلانات بصورة الحسنة الفاتنة له

تداعيات نفسية واجتماعية .أصبحت هاجز كل انثى وطلبها في التماهي مع هذه الصور.

3. أليات وتقنيات صناعة الجسد:

العناية بالجسد روتين يومي اعتيادي، ترتبط ارتباطا وثيقا بالنسيج الاجتماعي المستمدة من معايير التنشئة الاجتماعية من عادات وتقاليد وعرف وقيم، ويختلف الاعتناء بهذه التيمة حسب العمر والجنس. اذ يعد من اولويات الانثى، ومعطى طبيعي وموروث ثقافي يتعلمه الفرد منذ الميلاد سواء كان الاعتناء خارجيا او داخليا. مرتبط بالطقوس الدينية "النظافة الطقوسية" (للصلاة وتغسيل الميت والجنابة من دم الحيض والنفاس.. الخ) يختلف حسب الجنس تباعا لطقوسه المحددة في أعضائه وترتيبته الزمكانية.

1.3 مراكز العناية الجسدية معابد النساء :

لقد خص الاسلام الجسد بالرعاية والاهتمام وصون النفس كالاهتمام بالنظافة والرياضة وملاحظة المظهر وطيب الرائحة... الخ وكثرت الممارسات وطقوس الاعتناء به، واكتسبت العناية بالجسد محورا مهما في الحياة الخاصة او الحميمة التي تطبع حياتنا الراهنة نبحت عبرها عن مكافئات متنوعة ومعقدة : لذة الاستحمام ، العناية بالنظافة التي تحمل لنا بعض الاشباع النرجسي ونحن نتأمل انفسنا امام المرأة... ولقي

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

للجسد الانثوي نصيبه الوافر من حيث الاهتمام والاعتناء به، وبجماله. فترتدي النساء الماركات وتزين بالمساحيق وترتاد قاعات التجميل ومراكز العناية الجسدية لبعث اشعاع جمالهن ولتأمل جاذبيتهن المتألقة. (منى فياض، 2013، ص29) و انتشرت في اواسط النساء مفاهيم الجمال والعناية الجسدية، وصارت المحلات الكبرى ونوادي الرياضة ومراكز التجميل المعابد الجديدة للنساء ، فامتد فن الانوثة على مد البصر في هذه المراكز. (علي حداد عادل غلام ، 2001، ص19) التي تعتبر فضاء مهم للعناية بجغرافية الجسد، عبر ما توفره من اساليب حديثة في الاعتناء به من خلال غرف خاصة تساعد على الراحة والاسترخاء كما تعطي للجسد مجالا للنظافة. هذه الاماكن او المؤسسات الاجتماعية تشكل اهمية كبير للانثى، وقبلتهم الاولى التي تمنحها المكانة. ، واخذ الافتتان بالجسد اهمية مركزية اكثر من اي وقت مضى ، فتنوعت الامكانيات ونقل الجمال للجميع ... وتعد هذا الافتتان بعد ان صار الرفاه الفردي غاية معممة وبمبحثا مستمرا داخل مجتمعاتنا، سهل المنال. (جورج فيغاريلو، 2011، ص344)

ان هذا التنوع في اشكال العناية بالجسد ومراقبته - تنوع جديد فريد ، مشتهى ، ازداد الاقبال عليه مع توسع انتشاره في المجتمع، كلها ترمي الى هدف واحد .اتاحة الفرصة لأنثى لكي تبقى او تصبح جميلة. ومعها نشأ سوق واسع للتجميل ، احدث ثورة في المنتجات (اللباس ،المستحضرات، العطور الحلي، التدليك،... الخ) وهكذا قد تتحقق كل رغبة جمالية. وازدادت رغبة الانثى واقبالها على العناية الجسدية والاهتمام بجسدها، الذي اضحى اولى اولوياتها امام اتساع الامكانيات ووفرة المنتجات المتحكممة في الجسد سواء على المستوى الجمالي او الصحي وحتى الرياضي ،سعيًا لبلوغ مراتب الجمال المرغوب اجتماعيا ، والذي تختلف معاييرها باختلاف المجتمعات و الثقافات عبر التاريخ. (Michel)

"(Foucault, 2009, p10) على الرغم من احكامنا القيمية في ما نقبله وملا نقبله من مخرجات هذا التقدم او/ وما افرزته موضوعة صناعة الجسد (نفخ الشفاه ، تسمين الارداف ، رفع الاثداء، صبغ الاظافر، الخ) وما تعلق بها من اليات ضبط الجسد ، بالتالي اضحى الجسد سلعة تباع وتشترى في سوق التسليع. وامام زيادة الرغبة في الحصول على جسد مودل و/او مثالي تكتب النصوص وتحاك الرموز ،

قراءة أنثروبولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التمييز والانسلاخ

وتلعب الرسائل الرمزية بقيمته وترمي به في زاوية النبذ والنفور بالنعت احيانا والاقصاء احيانا اخرى وبالقبول والاقبال مرات عديدة .

هذا التنوع في اشكال العناية بالجسد ومراقبته والافتتان بعالم الموضة وزيادة انتشارها في المجتمع الجزائري احدث تطورا ملحوظا في عالم الملابس ومستحضرات التجميل والعناية الجسدية واصبح التهافت عليها بلا وعي وامتد فن الانوثة والبحث عن الاستهلاك النسائي ليستجيب لمطالب العصر. ففي الجسد يوجد الشيء ونقيضه ويتفاعل الرمزي مع المادي، والفائت مع الحاضر واللاحق، وتبنى الاستراتيجيات وتتجذر، فالجسد تاريخ وجغرافيا لانهائية، كما أنه، وفي مطلق الأحوال، سؤال لا جواب. إنه برأي "مالك شبل" "جسد للغة والمعتقدات، يتوجب تجاوز قياساته البيولوجية إلى قراءات أنثروبولوجية ووجودية، إنه جسد المكان والزمان والتمثلات . (مالك شبل، 2010، ص9)

كما تلعب النوادي الرياضية الدور البارز في بعث واعادة تشكيل الجسد بقدر ما يلعب اللبس الدور البارز في اعطاء القيمة للجسد، وبالتالي فان العناية بهذا الاخير هي من يحفظ ديمومته وسط المتضادات، وبذلك لا بد ان ينخرط الجسد في لعبة العناية الجسدية التي تسعى لها الحضارة ويسعى لها متاجري ومسلعي الجسد، فلقد زاد الطلب على قاعات الرياضة اليوم عند كل النساء دون تمييز للعمر والانتماء الجغرافي، سواء لأجل الصحة او لأجل الجمال، واهتمت العديد من النساء بالرياضة اما لترويض الجسد او للحفاظ على قوامه وجماله لما لها من تأثير في تحسين المظهر والصحة عامة ، وحصدت اهتمام وفضول الانثى في المجتمع الجزائري. فازدادت قاعات ونوادي الرياضة وازداد اقبال الانثى عليها وازدهرت معها العديد من الرياضات خاصة رياضة الزومبا Zumba والفتنس Fitness المصاحبة للموسيقى المتعلقة بتطوير اللياقة البدنية والصحية بين اوساط النساء واضحى الاقبال عليا من اولويات الانثى .

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

فارتداد الانثى لهذه الفضاءات فتح الشهية لزيادة الاستثمار في الجسد بالتقرب من ادق تفاصيله، وتولدت الرغبة في صفله عضوا بعضو، فزاد اقبال الانثى على ارتداد هذا الفضاء الجديد والحميمي، واضحت الانثى تراهن على جمالها في عين الآخر (الذكر/المجتمع) وترى ذاتها بمنظارهم. وبذلك كلما وصلت عادت للنمط والقالب. بل عاودت البدء من جديد لان اللعبة متغيرة ومستمرة وتجارة الجسد واقتصاد الجمال سيل جارف يأتي بكل جديد يسلب ارادة الجسد في امتلاك الجسد باسم الموضة التي تقوبه وتجعله جاهز للتشكيل والاستهلاك، بالتالي فان ظاهرة الموضة حولت الجسد الانثوي الى صورة قابلة للتشكيل واعادة التشكيل والابتكار والخطاب المعد لتسليعه ويبيعه عبر نوادي الرياضة وانشطتها المتنوعة (الزومبا/الفتنس) كل هذه المتغيرات وهذا الانفتاح جعل من الجسد الانثوي مفهوما استراتيجيا و مركز التحول والتحويل والاهتمام بقدر انفتاحه على الثقافة الغربية يزداد انفتاحا على التحولات الحديثة التي اخضعته لقوانينها. حيث تعكس وعي الانثى بجسدها، جماله وصحته.

2.3 اللباس وجسد الاغواء :

اللباس انتاج اجتماعي لا تقتصر وظيفته على سد الحاجات البيولوجية (البرد/ الحر الستر ..) بل يتعداه لكونه حامل للهوية الاجتماعية والثقافية للفرد (الجنس، الاصل الجغرافي، الطبقة الاجتماعية. الخ) يرمز للجسد ليضفي عليه معانيه ودلالاته الاجتماعية كأحد المؤشرات التي تطلعنا على المجتمع، وما يؤديه من وظائف رمزية مهمة تتجاوز المستوى البيولوجي الطبيعي الى المستوى الاجتماعي الثقافي ويعلن بالتالي عن تميزه واختلافه وخصوصيته. لا يخضع لتأثير الثقافة الاجتماعية فحسب بل ويكشف ايضا عن هوية افراد المجتمع. ومن الطبيعي ان هناك صلة وثيقة بين هوية الافراد والثقافة الاجتماعية العامة. انه بمثابة نص لغوي قابل للقراءة والفهم والشرح والتحليل والتفسير والتأويل باعتباره وعاء رمزي حامل للدلالات والمعاني الاجتماعية والبوابة الاولى للعبور الى الجسد المحترم المعترف به. فاللباس سواء كان شرعي (حجاب) او متبرج (غربي) فانه يحجب الجسد من كل اختراق رمزي (النظر) يقلل من مكانته ويحط من قيمته ، ففي العادات والتقاليد الجسد المغطى يلقي التقدير والاحترام عكس الجسد المتعري الفاضح الذي يستهجن

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

التقدم والتطور الذي عرفه العالم ككل، ولم يعد للأنثى رغبة في ارتداء اللباس التقليدي (برنوس، حايك،...) الذي عرفته الجدات باعتباره لا يتلائم ومعطيات العصر كونه انتاج اجيال وظروف سابقة. ان هذا التغير الذي طرأ على البنى الاجتماعية والثقافية دفع الشباب الى التكيف مع الاساليب الجديدة للباس التي توفر له الرضى وتحقق له المكانة الاجتماعية. فالتكنولوجيا بما تحتويه من قيم مادية تشجع عليها من خلال تقديم نماذج للحياة المترفة. غير ان الانثى اليوم ترمي بكل هذه المفاهيم والقيم جنباً وتعتبرها او ثان بالية اوجدها المجتمع ليخدم مصالحه وتحفظ ممتلكاته ولكنها اليوم لا تليق بمجتمع يعيش الحضارة ويشرك انثاه في معتزك الحياة، فمن المتناقضات ان نتبنى حياة المدينة ونعيش عصر التفتح ونحن نطبق على الانثى ونلف جسدها ونغطيها عن الاعين لكي لا يخترق ثم ندعوه (الجسد الانثوي) لينخرط في لعبة الحياة. هذان نقيضان لا يلتقيا ابداً فإما نقبل بهذا التغير ونتكيف معه ونقبل قوانينه، ونعني بذلك القبول باليات الاعتناء بالجسد والممارسات التجميلية ولكن نبقي على قيم الجسد الدينية والاجتماعية في الحفاظ على الحجاب ولكن عصرنته بإدخال اشكال جديدة وازياء أكثر حداثة ، واما نعرض عنه ونبتز المجتمع من نصفه (الانثى).

3.3 استلاب الجسد:

حينما نقول المرأة الحديثة او الانثى العصرية، نتصور على الفور تلك الانثى التي ترتدي احدث الازياء واخر الموضات، تلك المشغولة ليلاً نهاراً بشعرها وجسمها وجلدها واطا فرها ، وبمعنى اخر تلك المشغولة بنفسها او العاشقة لنفسها على حد تعبير نوال السعداوي في كتابها الانثى هي الاصل، انثى عصرية تذوب في القوالب التي اوجدتها الحداثة بمختلف آلياتها وتقنياتها ، التي تعمل على اعادة بناء الجسد وتشكيل مفاهيمه. الجسد المتحرر من كل الطابوهات ، المتحرر من سلطة الجماعة قيمها واعرافها ، جسد لم يعد ملكاً للعادات والتقاليد منذ ان تحرر وانسلخ عن مضامينها القيمية والاجتماعية والجماعية ، جسد اصبح ملكاً لصاحبه (الانثى).

قراءة اثربولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التمييز والانسلاخ

ان هذا التحول الثقافي الرهيب، كان رهانه المظهر الجميل ، رهانا ثقافيا بامتياز حظي بنجاح اجتماعي كبير. انخرطت فيه الانثى، تجملت وتفننت في ابراز مفاتها على الرغم من بعض اشكال المقاومة المجتمعية وحركت هذه المظاهر الفاتنة والاجساد العارية مشاعر الناس، عارضوها وتقبلوها نعتوها واقبلوا عليها ، ثنائيات من القبول والرفض لمثل هذه الممارسات التجميلية المنسلخة عن انماطه وقوابله ، وعن قيم المجتمع. عارضوا اختزال الانثى في جسدها واعتبروها خديعة للإغواء و انتشار للفاحشة ولم تنزاح هذه الممارسات ، التي برزت معها الموديالات الجسدية كنماذج للانثى المتحضرة الخارجة عن المشهد الاجتماعي داخل الاسرة وفي المدرسة والجامعة العمل والشارع. انثى بجسد منسلخ عن قيمه الاجتماعية والدينية. جسد لأنثى استغلت باسم التمدن والحضارة. استغل جسدها واستلب، وبتعريته تمت تعرية كل البنى الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية. هذا الاخير (الجسد) الذي يعتبر رأسمال كل رجل وكل اسرة جزائرية بل كل مجتمع عربي مسلم، هذا الجسد الجميل الجذاب الفاتن المسوق له عبر شاشات التلفزيون ومنصات التواصل الاجتماعي الذي صنف الانثى في خانة الاغواء والفتنة ، جسد مستلب تمت تعريته لخدمة مصالحهم في تسويق منتجاتهم. بذلك رسمت صورة نمطية للجمال الانثوي ولمفهوم الجسد الذي

حددت ملامحه وشكلت وحداته حسب اهدافهم التسويقية ، حيث يظهر الجمال احيانا في الارداد الكبيرة والعينين الواسعتين المملوئتين والشفاه المنتفخة الملونة والصدر(النهد) الكبير الصارخ ، ثم يحيد عنها الى اعادة تشكيلها ونحتها. لقد جزئوا الجسد الى وحدات كأنه مجموعة من قطع غيار تعدل وتستبدل ، حسب الحاجة ، هكذا ترسخ مفهوم الجسد في لاوعي الانثى.

ان الاهتمام بالجسد من المنظور المعاصر اصبح مسؤولية تتطلب من الانثى دوام العناية به وحمائته بالاعتناء به حتى يظل جميلا وفقا لمقاييس تحسب باليات القياس الدقيقة المرتكزة على المرأة بشكل كبير و الذي يتولى تحديد الطول وفق الوزن بل ويحدد نسبة الشحوم الضرورية او الفائضة في الجسم بناء على

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

نسب مثوية غاية في الدقة. حيث تعمل هذه الممارسات التجميلية على تعزيز صورة الجسد امام الآخرين على حد تعبير خلود السباعي: ليس التجميل سوى عمل مستمر للثقافة على الطبيعة وممارسة متواصلة للجسد المثالي على الواقعي، فيتعلم الفرد عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية كيف ينزع مظهره الانساني الواضح من خلال تغيير مصيره البيولوجي والتأثير فيه بالتجميل، حتى ينعم بالارتياح لصورة الجسد وذلك لتوقف الاعتراف بالذات على احكام الآخرين وتقييماتهم ، لان رغبة الفرد جذب انتباه الآخرين واطرائهم تخفي امله في نيل حبهم واعجابهم ، وبالتالي حبه لنفسه واعترافه بذاته ما تصبح معه نظرة الآخر بما يمكن ان تحمله من علامات الاعجاب او النفور بمثابة شهادة تأتي لكي تؤكد تجربة "مرآتنا" او تنفيها ، فأما ان تعمل هذه النظرة على تدعيم صورة الجسد او تخذلها .

لقد اوضحت الانثى اكثر امتلاكها لجسدها وتحررا من الرقابة التي فرضتها قيم ومعايير الاسرة وتحول الجسد الانثوي الى معطى جديد اكثر حميمية يجرب ويفعل ويختار ويبنى ذاته في واقع جديد محكوم بالذاتية منفصل عن الواقع القديم الذي يستمد منه مرجعيته وقيمه وينسج منه واقعه وذاته . فتحول الجسد من محصور الى مباح ينساب ويذوب في معطى الحياة . وعلى الرغم من محاولة الانسلاخ من قوالب التنشئة التقليدية والذوبان في قوالب جديدة اوجدتها الحداثة الا انه يبدو ان القوالب والتنميطات المتوارثة ما تزال تمارس اغرائها وسلطتها على الانثى. حولت الانثى الى آلة مسلوقة الرغبة والارادة مجتثة من اصولها الاجتماعية والدينية والثقافية ، منمطة وفق قوالب جاهزة يسوق لها عبر وسائط الاعلام وفضاءات الانترنت تعمل على تشيئته وانسلاخه ، واوجدت اليات وفضاءات وتقنيات للاعتناء به وخدمته (مراكز التجميل والعناية الجسدية، صالات الرياضات المتعددة، برامج الحمية ، جلسات التدليك والاسترخاء ، الخ تروج للجسد وتعيد تشكيه باستمرار وغيرها من علوم استيتيقية .

4. الخاتمة:

قراءة اثربولوجية لجماليات الجسد الانثوي بين فكي التثبيط والانسلاخ

تبدو دلائل هذه الدراسة، في هذا التنامي لمفهوم الجسد والعناية الجسدية خطير كسر كل الاطر السلوكية والاخلاقية متنامي مخترق كل الابنية الاجتماعية والثقافية ، فلا نستطيع اليوم ونحن نجوب الشوارع والساحات العامة و/او نرتاد الاسواق والجامعات الا ونرى اجساد شبه منسلخة عن معايير المجتمع وقوابله الاجتماعية والدينية، تمس كل الاعمار والطبقات (طفلة، مراهقة، شابة، عجوز...الخ) (عازية، متزوجة، ارملة...الخ) مشاهد لأنثى تسير الموضة متفenne في ابراز تفاصيل الجسد ومفاته بلباس بعيد عن الاحتشام خارق لكل مقاييس الستر والحياء ، اجساد تتقن فنون التجميل والظهور.

بالرغم من التحولات التي مست مفهوم الجسد الانثوي وبالرغم من التغيرات الحاصلة في المجتمع، والتي طرأت على كل الابنية والانساق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومع كل هذه التحولات السوسيو- ثقافية التي اوجدتها الحداثة الا ان الانثى مازال تحمل قيم وليدة المجتمع والاسرة ، تتمثلها وتماهي معها بالرغم من سعيها الى التحرر من قيودها ، بالرغم من تسارع وتيرة التقدم والحداثة وانخراط الانثى في لعبة التصنيفات الجسدية والامثال لسلطة الممارسات التجميلية الا انها مازال تذوب في نسيج المجتمع الضارب في عمق التاريخ والعرف والدين .

وما يمكننا قوله، مازال الجسد الانثوي في الواقع العربي والجزائري بالأخص في عصر الانفتاح والتطور التكنولوجي يتأرجح بين القيم الدينية والمجتمعية وقيم الحداثة ، يعاني من ثقل العادات والتقاليد يتجدد في معطيات الحضارة الى حد التضارب ، حول النظرة للجسد من سلطة العرف والدين الى سلطة الحضارة والعالمية ، تستعيد الانثى معه انفاسها وتجدها كل يوم من خلال الموضة والمراكات العالمية والمنتجات المكرسة لخدمة هذا

الاخير(الجسد) المتضاربة ما بين ستره اتقاء للفتنة ، الجسد العوة . والتضييق على الانثى و تقنين سلوكها وتقيدها وصياغة قالب معين وانموذج ثابت يصورها على انها الجسد 'الطابو' الجسد 'الاعراء' بفرض رقابة عليها وتقنين اليات تجميل هذا الاخير وكيفية الاعتناء به وما بين الاقبال على الاعتناء به وابداء مفاته واخفائه لاتقاء شره، دعوة للتحرر وامتلاكه وتيسير انخراطه في نسيجه الاجتماعي الثقافي، وعليه فان التغيرات التي مست الجسد

علاوة عبلة ، مولاي مراد الحاج

(تحميل، اعتناء، رياضة، لباس، اكسسوارات،..الخ) لا تزال تمر متباطئة على هذا الجسد في اخضاعه وضبطه، فالأنثى في هذا المجتمع الحداثي ليست خارقة حدثة بل مستهلكة كغيرها من النساء.

5. قائمة المراجع:

1. ايمي.اس. وارتون،(2014)، علم اجتماع النوع ، ترجمة هاني خميس احمد عبده، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
2. جورج فيغاريلو، (2011)، تاريخ الجمال ، الجسد وفن التزيين من عصر النهضة الأوربية الى ايامنا ترجمة جمال شحيد المنظمة العربية للترجمة ، بيروت .
3. خلود السباعي، (2002)، الجسد الانثوي وهوية الجندر ، دار القلم.
4. دفيد لوبروتون،(2014)، سوسيولوجيا الجسد ، ترجمة عياد ابلال ، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة.
5. محمد حوسو عصمت، (2009) الجندر- الابعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان الاردن.
6. علي حداد عادل غلام،(2001)، ثقافة العري او عري الثقافة ، ترجمة عبد الرحم العلوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
7. فريد الزاهي،(1999)، الجسد والصورة والمقدس في الاسلام ، دار افريقيا للنشر بيروت.
8. مالك شبل ، (2010)، الجنس والحريم وروح السراري "السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير" ترجمة عبد الله زارو، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
9. محمد عبد الوهاب يوسف، (2009)، جسد الانثى بين الخطاب الديني والخطاب الاعلامي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان.